الفصل الثاني:

التعريف بالإمام الشاطبي وكتابه المقاصد الشافيّة.

٢,١ المبحث الأول: الإمام الشّاطبي اسمه، ونسبه، ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه ومؤلفاته وشعره ووفاته.

٢،١،١ المطلب الأول: اسمه ونسبه

العلامة المحقق النظّار أحد الجهابذة الأخيار وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف أحد العلماء الأثبات وأكابر الأئمة الثقات الفقيه الأصولي المفسر المحدّث واتباع السنة واجتناب البدع هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن علي اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي[٥٠]، واللَّخميّ: نسبة إلى لخم وجذام قبيلتان من اليمن نزلتا الشام.[٥١] ولخم: حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، وهم آل عمرو بن عدِيّ بن نصر اللَّخميّ[٥٢]، والغرناطي، نسبة إلى مملكة غرناطة التي عاش فيها الشاطبي (-رحمه الله-)، وأما الشاطبي فنسبة إلى شاطبة وهي مدينة في شرقي الأندلس، وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة[٥٣].

---

[٥٠] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ج. ١. ص. ٤٨

[٥١] السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م. *الأنساب*. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ج. ١١ ص. ١٨

[٥٢] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. القاهرة: دار الحديث. ص. ١٠٣٢

[٥٣] الحموي، ياقوت بن عبد الله. ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر. المجلد الأول. ج. ٣. ص. ٣٠٩

إنَّ الإنسان في حياته اجتماعي بالطبع، ويقود ذلك إلى أن الإمام الشاطبي تأثر بأماكن إقامته ووجوده في بلاد المغرب الإسلامي، وصقل ذلك موهبته النحوية، ويدلل ذلك على عمق هويته الاجتماعية وتأثيرها في منحى دراسات التخصصية، فلم يتوانى في الاستفادة من الرقي المعرفي والعلمي في تلك البلاد الإسلامية، التي كانت تشهد حركة علمية واسعة تعبر عن الحضارة الأممية القائمة في تلك البقاع.

٢،١،٢ المطلب الثاني: نشأة الإمام الشّاطبي (–رحمه الله–).

جميع المصادر التي ترجم للإمام الشاطبي –رحمه الله– لم تحدثنا عن تاريخ ولادته أو نشأته الأولى، وما نعلمه هو أنه نشأ بغرناطة وبها قضى حياته، وزاول نشاطه العلمي إلى أن توفي بها[٥٤]، وإنّه لم يخرج منها إلى بلد آخر غيرها، كما أنّ الذين ترجموا له لم يذكروا أنّه خرج إلى الحجّ كذلك. فقد وجد فيها الفرصة للانكباب على طلب العلم منذ حداثة سنه.

وقال الإمام الشاطبي (–رحمه الله–): "لم أزل منذ فتق للفهم عقلي، ووجه شطر العلم طلبي أنظر في عقلياته وشرعياته، أصوله وفروعه، لم أقتصر منه على علم دون علم، ولا أفردت عن أنواعه نوعا دون آخر، حسبما اقتضاه الزمان والإمكان وأعطته المنّة المخلوقة في أصل فطرتي، بل خضت في لُجَجه خوض المحسن للسباحة، وأقدمتْ في ميادينه إقدام الجريء، حتى كدت أتلف في بعض أعماقه، وأنقطع من

---

[٥٤] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن علي اللخمي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية*. مكة المكرمة: جامعة أم القرى. الطبعة الأولى. ج. ١. ص. ٢ والزركلي، وخير الدين. ٢٠٠٢م. *الأعلام قاموس التراجم*. بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشرة. ج.١ ص. ٧٥

رفقتي التي بالأنس بها تجاسرْتُ على ما قدر لي، غائباً عن مقال القائل وعذل العاذل، ومعرضاً عن صدّ الصادّ ولوم اللائم."[٥٥]

إن النشأة التي تربى عليها الإمام الشاطبي من إقامته في بلاد المغرب الإسلامي، وقلة تواصله مع علماء المشرق الإسلامي، ساهم في تشكيل شخصيته العلمية وعقليته التخصصية الفذّة، وقاده ذلك إلى تعزيز أصول الاجتهاد الشخصي حول مسائل الدين والشريعة والفقه والأصول واللغة، ولم يكن مقصراً بحق اللغة، فقد جاد بفكره القويم بمناقشات وأطروحات تشهد على عبقريته في التأصيل والطرح والتحليل، ولعل هذه الدراسة التي تقوم بها الباحثة كشاهد حي على حيوية الفكر الصرفي عند الإمام الشاطبي في شرحه لألفية ابن مالك، ويُلاحظ أن نشأة الإمام الشاطبي لها تأثير كبير على صناعة شخصيته وامتداداتها المعرفية عبر الزمن، وقد لاقت اجتهاداته صدىً واسعاً بين المتخصصين، مما ساعد في نشرها، والاعتماد عليها لما تحمله من قوة علمية ومعرفي في مختلف الحقول والمجالات التي أبدى رأيه فيها.

وأكّد د. زين العابدين بن حاجب وعصام الدين أحمد أن الإمام الشاطبي لم يتواصل أهل المشرق الإسلامي، إنما عاش حياته في بلاد الأندلس؛ فهو ليس كعامة علماء الأندلس الذين كانوا يقطعون المسافات الطويلة في سبيل تلقي العلم على أيدي علماء المشرق؛ حيثُ منابع العلم الأصيلة، ويمكن أن نرجع سبب عدم خروج الشاطبي للحج إلى أحد الأسباب العادية التي تمنع أي مسلم من ذلك كالفقر أو المرض أو غيرهما من الأمور القاهرة[٥٦]؛ فهذه هي حياة العلماء الأفذاذ الذين لم تنصفهم الحياة والمعيشة، وحسب أن الإمام الشاطبي قد أثمرت نشأته في حقول العلوم والمعرفة، وأبدع في إنتاجات

---

[٥٥] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن علي اللخمي. د.ت. *الاعتصام*. د.م: مكتبة التوحيد. ج. ١. ص. ١٣

[٥٦] زين العابدين حاجب وأحمد. ٢٠١٨م. *الإمام الشاطبي عالم نحوي*. ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ص. ٢٧

تأصيلية فريدة من نوعها، جمعت بين أصول النهج الإسلامي وتطبيقاته في مختلف المحاور الأساسية، كاعتماده على المقاصد في تحليله لمجمل المسائل والآراء والقضايا الشرعيّة واللغوية على السواء.

ولعل المستغرب في حياة الإمام الشاطبي ونشأته أنه لم يترجم إليه عالم عصره ابن حجر العسقلاني في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، بالرغم من أنه كتب كثيراً من شيوخه الذين نقل عنهم وتتلمذ على أيديهم، ولعل السبب في ذلك أن الشاطبي نبغ في المغرب الإسلامي، ولم يتنقل بين البلدان كسائر العلماء، ومهما يكن من أمر فقد لقى الشاطبي شهرةً بين علماء الفقه واللغة الذين أبدعوا في نشأتهم التأصيلية في حقول العلوم الشرعية والفقهية واللغوية.

٢،١،٣ المطلب الثالث: شيوخ الإمام الشّاطبي وتلاميذه.

١. شيوخه

تتلمذ الإمام الشاطبي على أيدي شيوخ لهم بصماتهم الواضحة في شخصيته العلميّة والمعرفيّة، فجالس كثير منهم ونقل منهم وأجازه بعضهم في حقول العلم ومتون المعرفة، ومن أشهر شيوخ الإمام الشاطبي (-رحمه الله-):

١) **أبو عبد الله محمد بن الفخار البَيْرِي.**

كان من أحسن قراء الأندلس تلاوة وأداءً، قرأ عليه الشاطبي بالقراءات السبع في سبع ختمات[٥٧].

٢) **الأستاذ أبو سعيد فرج بن لب.**

عرض عليه مختصر أبي عمرو بن الحاجب في الأصول في مجلس واحد، وأجاز له أن يرويه عنه، وجميع ما يصح عند دخوله تحت روايته وتتضمنه إجازته على العموم بشرطه المعلوم، وكذلك ما قيده في شيء من

[٥٧] المجاري، أبو عبد الله محمد. ١٩٨٢م. *برنامج المجاري*. بيروت: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى. ص. ١١٩

العلوم من منثور أو منظوم. وحدثه بالكتاب المذكور عن الإمام ناصر الدين أبي علي منصور بن أحمد المشذالي إجازة.[٥٨]

٣) **الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن على البلنسي.**

ذكر الامام الشاطبي –رحمه الله– في ختام شرح الألفية، فقال: وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله البَلَنْسِي في هذا العلم عارفاً بطرق أئمته المتأخرين، عالماً بمقاصدهم فيه، وكان من طرق تعليمه بيانُ المقاصد بحسب القارئ من الابتداء والانتهاء، مرشحا لفهمه، مدرّبا له، وموقظا لفكره لاقتناص الجواب وإيراد السؤال، مطرّزاً مجلسه بنقل نكت شيوخه، متأدّباً معهم، إذا ذكر أحداً منهم طَرِب بذكراهم، وأمتع بالثناء عليهم، كعادة شيخه أبي عبد الله بن الفخار." وأبو عبد الله البلنسي هو صاحب "صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل"، وله تفسير للقرآن الكريم ذكره ابن الخطيب.[٥٩]

٥) **الشيخ الخطيب المقرئ الحسيب أبو عبد الله محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي**

استجازه فأجازه عامة بشرطها.[٦٠]

٦) **الشيخ القدوة الصوفي نسيج وحده، وفريد عصره أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الْمَقَّرِيّ.**

سمع عليه جميع كتاب الحقائق والرقائق من تأليفه، وأجازه به وبجميع ثلاثيات البخاري وبعض من كل كتاب يذكر بعد. فمن ذلك: صحيح البخاري، والترميذي، والنسائي، وموطأ مالك بن أنس، والأحكام الصغرى لعبد الحق، والشفا لعياض وشهاب القضاعي، وتيسير أبي عمرو الداني،

---

[٥٨] المجاري. ١٩٨٢م. *برنامج المجاري*. ص. ١١٨

[٥٩] الشاطبي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. *المقاصد الشافية*. ج.١ ص. ٨

[٦٠] المجاري. ١٩٨٢م. *برنامج المجاري*. ص. ١٢٠

والشاطبية، علوم الحديث لابن الصلاح، وابن الحاجب الأصلي، وتسهيل ابن مالك والجزولية وجمل الزجاجي.

٧) **الفقيه النظار أبو علي منصور بن عبد الله الزواوي.**

قرأ عليه مختصر منتهى اللسول والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام أبي عمرو بن الحاجب من أول مبادئ اللغة إلى آخره بلفظه إلا يسيرا منه سمعه بقراءة غيره، وكل ذلك قراءة تفقه ونظر، وأجازه إجازة عامة بشرطها.

٨) **الشيخ المحدث الرواية أبو عبد الله ابن مرزوق**

سمع عليه جميع الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري بقراءة الخطيب أبي عبد الله الحفار إلا ثلاثة مواضع فإنها فاتته منه، وذلك في مجالس بعضها بالمدرسة النصرية وسائرها بالجامع الأعظم، وسمع عليه أيضا جميع موطأ مالك بن أنس رواية يحي بن يحي، وذلك بالمدرسة النصرية بالحضرة العلية بقراءة الخطيب المذكور، وأجازه لهما وبجميع ما يحمل إجازة عامة بشرطها.[٦١]

٩) **الشيخ الفقيه الشريف أبو قاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى.**

وقد عرّف الامام الشاطبي –رحمه الله– بمكانته في علم النحو وطريقته في التدريس، وذلك في ختام شرحه للألفية، قال: "وكان شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف الحسنى رحمة الله عليه في هذا العلم رفيع الشأن، عالماً بدفائن أئمته وكان من طرق تعليمه تحصيل مضمن الفصول والأبواب، جامعاً لما تشتت منها، مقرّبا للمبتدي، يقف القارئ على نكت كتابه المقروءة واحدةً فواحدةً، لا يقنع بالفهم البرّاني فيه، مورداً للإشكال، مجيباً عنه، لا يخرج عن طريق كتابه إلا في

[٦١] المجاري. ١٩٨٢م. *برنامج المجاري*. ص. ١٢٠-١٢١

النّدرة، معتذراً عن غفلاته، مرتضياً ما ارتضاه شيوخه في فهمه، محمضا بفوائد المعاني ومسائل البيان ومقطعات الشعر الحسان"[٦٢].

يتّضح مما سبق أن الإمام الشاطبي تتلمذ على يد شيوخ أكابر وعلماء عظام في مجالات اختصاصهم، والناظر إلى هؤلاء الشيوخ يجدهم من نوابغ العلماء في القراءات والدين والشريعة والفقه واللغة، فمعظمهم يُلقب بالشيخ والخطيب، وهذا إن دلّ يدل على القدم الرّاسخة لهؤلاء الشيوخ وأثرهم الجلي في شخصية الإمام الشاطبي، وتولى هؤلاء الشيوخ المراكز التعليمية في بلاد المغرب الإسلامي، وساهم ذلك في نقلة نوعية في حياة الإمام الشاطبي العلمية، وقد أحصى د. زين العابدين ود. عصام الدين شيوخ الشاطبي في ستة وعشرين شيخاً[٦٣]، تتنوع مشاربهم العلمية في بلاد المغرب الإسلامي.

٢. تلاميذ الإمام الشّاطبي.

ترك الإمام الشاطبي أثراً واضحاً في التراث الإسلامي، واشتهرت مؤلفاته، وأخذ عنه كثير من طلاب العلم ومحبيه، وكان من أشهر تلاميذ الإمام الشاطبي –رحمه الله– الذين تلقوا عنه:

١) أبو يحيى بن محمد بن عاصم.

هو الأستاذ العالم الإمام العمدة المحقق المتفنن الأريب الخطيب البليغ الكاتب الأديب الذي أخذ عن الإمام الشاطبي –رحمه الله– وانتفع به وورث خطته. وله تأليف كبير في الانتصار لشيخه أبي إسحاق المذكور والرد على شيخه أبي سعيد في مسألة الدعاء بعد الصلاة في غاية النبل والإفادة.[٦٤]

٢) أبو بكر بن محمد بن عاصم.

---

[٦٢] الشاطبي. د.ت. *المقاصد الشافية*. ج.١ ص. ٧

[٦٣] حاجب وأحمد. د.ت. ٢٠١٨م. *الإمام الشاطبي عالم نحوي*. ص. ٢٩.

[٦٤] مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*. بيروت: دار الكتب العلمية.ج. ١. ص. ٣٥٥

هو الفقيه الأصولي المحدّث العالم الكامل المحقق المطلع المتفنن في علوم شتّى المرجوع إليه المشكلات الفتوى الذي أخذ عن الإمام الشاطبي –رحمه الله– وغيره، وله تآليف منها: التحفة وقع عليها القبول واعتمد عليها العلماء وشرحها الجماعة، وله أرجوزة في الأصول واختصار الموافقات وأرجوزة في اللغة والفرائض وأخرى في القراءات وأخرى في قراءة يعقوب وله حدائق الأزهار في مستحسن الأجوبة المضحكة والحكم والأمثال والحكايات والنوادر طبع بفاس وغير ذلك.[٦٥]

٣) أبو عبد الله المجاري.[٦٦]

وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد. قال عن شيخه: عرضتُ عليه ألفية ابن مالك عن ظهر قلبٍ، وحدّثني بها عن شيخه الإمام العلاّمة أبي عبد الله البيريّ، عن الإمام النحوي أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتيّ، عن الشيخ الإمام النحاة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النحاس عن مؤلّفها أبي عبد الله بن مالك.[٦٧]

٤) أبو جعفر القصار.

هو أبو جعفر أحمد القصار الأندلسي الغرناطي.

وكان الإمام الشاطبي (–رحمه الله–)يطالع هذا التلميذ النبيه ببعض المسائل عند تصنيفه لكتاب "الموافقات" ويباحثه فيها ثم يدوّنها في كتابه شأن الفضلاء من ذوي الإنصاف.[٦٨]

---

[٦٥] مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*. ص. ٣٥٦

[٦٦] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٨

[٦٧] الشاطبي. د.ت. *المقاصد الشافية*. ج.١ ص. ١٠

[٦٨] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن علي اللخمي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. *فتاوى الامام الشاطبي*. تونس: نهج لواز الوردية. طبعة ثانية. ص. ٤١

يتبيّن مما سبق أن الإمام الشاطبي ترك بصمات واضحة في مسيرة العلم والمعرفة من خلال تلاميذه الذي أبدعوا في الحركة العلمية في عصر الشاطبي والعصور اللاحقة له، خصوصاً ممن تولى منهم التدريس والإفتاء والقضاء، ويشير ذلك إلى الأثر العظيم الذي تركه هذا الإمام فيمن بعده.

٢،١،٤ المطلب الرابع: مؤلفات الإمام الشّاطبي (-رحمه الله-).

١) كتاب الموافقات:

وهو أعظم كتب الشاطبي -رحمه الله- وأشهرها، ويقع في أربعة أجزاء، ويمكن أن تندرج موضوعات هذا الكتاب تحت عنوان: (فلسفة التشريع) أو كما سماه صاحبه في أول الأمر: (عنوان التعريف بأسرار التكليف)[٦٩]. ثم عدل عن هذه التسمية لرؤيا رآها فسماه: (الموافقات)، وبه هدف إلى تجديد النظر في الشريعة، وعمل على شحذ عقول العلماء والمجتهدين بالالتفات إلى مقاصد الشريعة وأسرارها بما لم يسبق إليه. والكتاب وإن اشتمل على أربعة أجزاء إلا أنه مقسم من حيث موضوعاته إلى خمسة أقسام:

(١) المقدمات. (٢) الأحكام. (٣) المقاصد. (٤) الأدلة. (٥) الاجتهاد والتقليد.

أولاً: المقدمات: وهي ثلاث عشرة مقدمة في أصول الفقه والأدلة القطعية والمستعملة ومسائل أصول الفقه العادية، والاشتغال بالمباحث النظرية، ومراتب العلم الثلاثة التقليدي - الاستدلالي — التحقيقي، وأقسام العلم ثلاثة: العلم، وملحه، وما ليس صلبه وملحه، وإن العقل تابع للنقل في الأحكام وأنه لا بد للعلم من معلم.[٧٠]

---

[٦٩] الشاطبي.١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. *الموافقات*. ج.١. ص. ١٠

[٧٠] زين العابدين حاجب. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. *اختيارات الشّاطبي النّحويّة واستدراكاته*. ص. ٨٤

ثانياً: الأحكام: وهي تتناول الأحكام الخمسة التكليفية، والأحكام الخمسة الوضعية، بحيث أحاط بالأحكام كلها، والتكليفية فيها ثلاث عشرة مسألة، والوضعية فيها خمسة أنواع: السبب والشرط، والموانع، والصحة والبطلان، والعزائم، والرخص.[٧١]

ثالثاً: المقاصد: وهي تتمثل في الجزء الثاني بأكمله. وعلم المقاصد يعد بمفرده علماً مستقلاً، وتأسيساً مستحدثاً لأسرار الشريعة وغاياتها. وهي قسمان: عامة، وفيها أربع عشرة مسألة، تبحث في أنه من الخطأ اعتبار جزئيات الشريعة دون كلياتها، وبالعكس، وفي الظن إذا حذف قطعياً، والأدلة التي لا تتنافى مع قضايا العقول ذهنياً أو خارجياً، وضروبها، وأقسام الدليل والمجتهدين.

رابعاً: الأدلة:

لم يتناول الشاطبي –رحمه الله– من الأدلة إلا دليلين هما: الكتاب والسنة؛ حيثُ استغرق البحث فيهما الجزء الثالث كله، وربع الجزء الرابع تقريباً، وتناول بهذا الصدد كل ما يتعلق بالكتاب والسنة من الموضوعات والمسائل، فبين عوارضهما من الأحكام والتشابه والنسخ والأمر والنهي، والعموم والخصوص، والإجمال والبيان، وبسط القول في منزلة الكتاب من أدلة الشريعة كلها، وبين أنه الأصل فيها جميعاً.

تناول بعد ذلك أقسام العلوم المضافة إلى القرآن، وبين ما يحتاج إليه المجتهد منها في الاستنباط، كما تناول مسائل متفرقة تتعلق بالقرآن أيضاً.

انتقل بعد ذلك إلى السنة فحدد منزلتها من القرآن، وبين أنها لا تخرج في جملتها عن أحكامه، وأنها مبينة لمجمله[٧٢].

خامساً: الاجتهاد والتقليد:

---

[٧١] زين العابدين حاجب. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. *اختيارات الشّاطبي النّحويّة واستدراكاته*. ص. ٨٥

[٧٢] الشاطبي.١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. *الموافقات*. ج. ٢ و٣

تناول الشاطبي –رحمه الله– هذا القسم الأخير من أقسام الكتاب الخمسة، في الجزء الرابع منه. والجوانب التي بحثها في هذا القسم تتعلق كما يقول هو "بأحكام الاجتهاد والتقليد، والمتصفين بكل واحد منهما، وما يتعلق بذلك من التعارض، والترجيح، والسؤال والجواب، وفي كل قسم من هذه الأقسام مسائل، وتمهيدات، وأطراف، وتفصيلات، يتقرر بها الغرض المطلوب ويقرب بسببها تحصيله للقلوب"[٧٣].

طبعات الكتاب:

طبع كتاب الموافقات عدة طبعات، وهي:

١) سنة (١٣٠٢ هـ) بمطبعة الدولة التونسية.

٢) سنة (١٣٤١ هـ) بالمطبعة السلفية بمصر، وقد علق الشيخ محمد الخضر حسين على الجزء الأول والثاني، وعلق الشيخ حسنين مخلوف على الجزء الثالث والرابع.

٣) بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، ونشرته مكتبة صبيح بمصر

٤) بشرح الشيخ عبد الله دراز، ونشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٥) سنة (١٤١٧ هـ) بتحقيق الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، ونشرته دار ابن عفان بالسعودية[٧٤].

---

[٧٣] الشاطبي.١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. *الموافقات*. ج.١ ص. ١٠

[٧٤] الجيزاني، محمد بن حسين. ١٤٣٠ هـ. *تهذيب الموافقات*. . المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. الطبعة الثالثة. ص. ٢٧

وأحسن هذه الطبعات اثنتان:

الأولى: طبعة الشيخ عبد الله دراز[٧٥]، فقد تميزت طبعته بمزيد من الدقة والعناية في ضبط نص الكتاب وتقويمه. وامتازت بوضع عناوين في رأس كل صفحة من صفحات الكتاب، وكان لهذا الصنيع أثر عظيم في تيسير عملية البحث والانتقال في ثنايا الكتاب.

ويلاحظ على شرح الشيخ دراز أنه أطال كثيراً في نقد المؤلف والاعتراض عليه ولا عجب فقد ظهر في صفحة الغلاف قوله: "وعليه شرح جليل لتحرير دعاويه وكشف مراميه، وتخريج أحاديثه، ونقد آرائه نقداً علمياً يعتمد على النظر العقلي وعلى روح التشريع ونصوصه".

وهو الذي يقول في مقدمة شرحه: "والتزمت تحرير الفكر من قيوده، وإطلاقه من مجاراة المؤلف في قبول تمهيده، أو الإذعان لاستنتاجه لمقصوده، وكان هذا سبباً في عدم الاحتشام من نقده في بعض الأحيان، والتوقف في قبول رفده الذي لم يرجح في الميزان"[٧٦] ولذا قال بعض الباحثين: "تعليقات الشيخ دِراز تمتاز بالشُّح في الإطراء، وبالمبالغة في المعارضات والاستدراكات"[٧٧].

والطبعة الثانية: طبعة الشيخ مشهور آل سلمان، فقد عني في هذه الطبعة بتخريج الأحاديث والآثار وأطال في ذلك. وامتازت طبعته بحسن المظهر، وامتازت أيضا بمقابلة الكتاب على بعض نسخه الخطية.

ويلاحظ على هذه الطبعة كونها ثقيلة المحمل، يصعب معها الوصول إلى المطلوب، إذ حَمَّلَهَا جميع تعليقات السابقين وشروحهم وهم: الشيخ عبد الله دراز، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، والشيخ الشنقيطي (ماء العينين).

---

[٧٥] ظهرت هذه الطبعة في أربعة مجلدات، وربما جمعت في مجلدين كبيرين، وقد بلغت ص. فحات هذه الطبعة: (١٥٦٨).

[٧٦] الشاطبي.١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. *الموافقات*.ج. ١. ص. ١٣

[٧٧] نفس المرجع. ج.١ ص. ٥٩

ثم أضاف إلى ذلك تعليقات له وزيادات وتعقبات، وذكر مع ذلك بعض النقول عن ابن تيميه وابن القيم، وربما اكتفي بذكر مواطن بحث هذه المسألة أو تلك عند هذين الإمامين وغيرهما وقد ظهر هذا العمل في خمسة مجلدات، إلا أنه أضاف مجلدا خاصاً بالفهارس المتعددة، وقد صدر هذا المجلد بترجمة للشاطبي، وترجمة له ولمحققي الموافقات و شراحه، فخرج الكتاب في ستة مجلدات.

وحاصل القول في هاتين الطبعتين: أن لكل طبعة ما يميزها وإن كانت إحداهما لا تغني عن الأخرى.

اهتمامات بعض تلاميذ الشاطبي –رحمه الله– بالموافقات: وقد اهتم بعض تلاميذ الشاطبي بالموافقات اهتماما بالغا، مما جعلهم يقبلون على ثروة إمامهم بعين الاعتبار، ما بين مختصر له أو ناظم.

أما اختصاره: فقد قام تلميذه أبو بكر محمد بن عاصم –رحمه الله– باختصاره اختصارا مفيداً، وسماه: (نيل المنى في اختصار الموافقات)[٧٨].

وأما ما يتعلق بنظمه: فقد قام أحد تلاميذ الشاطبي من بلدة وادي (اشي) إلى نظم الموافقات، وسماه: (نيل المنى من الموافقات)[٧٩].

٢) الاعتصام: يبدو أنه ألف كتابه هذا بعد كتاب الموافقات إذ كثيراً ما يشير في الرجوع إلى مزيد الاطلاع على بعض المسائل إلى كتاب الموافقات ويذكر أنه بسط فيها القول هناك[٨٠] ويقع كتاب الاعتصام في جزأين تناول فيه الشاطبي –رحمه الله– أبوابا متعددة منها في **الجزء الأول:**

الباب الأول: في تعريف البدع وبيان معناها.

---

[٧٨] المقري. أحمد بن محمد. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م. *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. بيروت: دار صادر. ج. ٥. ص. ٢١

[٧٩] توجد منه نسخة خطية بمكتبة دير الأسكوريال بأسبانيا ورقمها (١١٦٤). الشاطبي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. *فتاوي الإمام الشاطبي*. تحقيق: محمد أبو الأجفان. تونس: نهج لواز. الطبعة الثانية. ص. ٤٧

[٨٠] الشاطبي. د.ت. *الاعتصام*. ج. ٢. ص. ٢٢٤

الباب الثاني: في ذم البدع وسوء منقلب صاحبها.

الباب الثالث: في أن ذم البدع والمحدثات عام.

الباب الرابع: في مأخذ أهل البدع في الاستدلال، وفيه عشرة فصول.

الباب الخامس: في أحكام البدع الحقيقية والإضافية.

وفي الجزء الثاني:

الباب السادس: في أحكام البدع وأنها ليست على رتبة واحدة.

الباب السابع: في الابتداع، هل يدخل في الأمور العادية أم "يختص بأمور العبادة.

الباب الثامن: في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان.

الباب التاسع: في السبب الذي من أجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين.

الباب العاشر: في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة.

وقد طبعت دار المنار هذا الكتاب بعناية دار الكتب المصرية سنة (١٩١٣ م)، وبتقديم محمد رشيد رضا منشئ المنار[٨١].

وهناك طبعة بدون تاريخ مصدرة بالتقديم المذكور أصدرتها المكتبة التجارية الكبرى لمصطفي محمد بمصر بتصحيح محمد سليمان[٨٢].

---

[٨١] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص. ١٠٩١

[٨٢] الشاطبي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. *فتاوي الإمام الشاطبي*. ص. ٦٨

٣) الإفادات والإنشادات[٨٣]: هذا الكتاب عبارة عن كراسين جمع فيهما الإمام الشاطبي –رحمه الله– المحاضرات والمذاكرات ذات الفوائد العلمية من فنون مختلفة ومتنوعة مروية من شيوخه وأقرانه، من علماء الأندلس والمغرب.

ومحتويات الكتاب يمكن تقسيمها قسمين:

القسم الأول: عبارة عن أبيات شعرية مختلفة الأغراض أنشده إياها أدباء الأندلس والمغرب، مما نظموه بأنفسهم أو تلقوه عن غيرهم، وهذا القسم يسمي بإنشادات.

القسم الثاني: عبارة عن موضوعات نثرية مختلفة ذات فوائد علمية مما استفاده من مشايخه الكرام، وأقرانه النبلاء، فيها علوم مختلفة، كاللغة العربية، والعلوم الشرعية، والعلوم العقلية، والصحية، وغير ذلك مما تقدم في مبحث دراسته وثقافته.

وقد تتبعت الإفادات المروية في هذا الكتاب، فوجدت أن عددها (٥١) واحدة وخمسون إفادة، كما قمت بتتبع الإنشادات، فوجدت أن عددها (٥٠) خمسون إنشاداً، والمجموع: (١٠١).

٤) فتاوى الإمام الشاطبي (–رحمه الله–):

قام بجمع الفتاوى للإمام الشاطبي –رحمه الله– د. محمد أبو الأجفان من كتب مطبوعة ومحفوظة. قال في المقدمة تحت العنوان: الأصول المعتمدة لجمع فتاواه: "إن فتاوى الإمام الشاطبي –رحمه الله– منقولة في بعض كتب الفتاوى، ولم يخصص لها كتاب مستقل. وقد عمدت إلى جمعها من مصادر مهمة ألفت بعد عهد الشاطبي (–رحمه الله–)

واهتممت بما أثر عن الفقهاء الأندلسيين من الأجوبة الفقهية عن النوازل الطارئة وهي:

---

[٨٣] الشاطبي. *الإفادات والإنشادات*. طبع بمؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م) والطبعة الثانية. (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م) بتحقيق محمد أبو الأجفتن

١) الحديقة المستقلة النضرة.

٢) فتاوى ابن طركاط.[٨٤]

٣) المعيار المعرب.

٤) المعيار الجديد.

٥) روضة الأعلام[٨٥].

وقد تتبعت الفتاوى المجموعة فوجدت أن عددها: (٦٠) ستون فتوى في الفقه والحديث والعقيدة والبدع. وتشمل هذه الفتاوى على مسائل مهمة جداً، انفرد بها الإمام الشاطبي –رحمه الله–، مما يدل على مدي تمكنه وتمتعه بقسط كبير من مقاصد الشريعة.

٥) شرح الخلاصة (الألفية): هو كتاب في النحو، شرح فيه الشاطبي –رحمه الله– ألفية ابن مالك وهو الكتاب الذي أقوم بدراسته – إن شاء الله –. وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب مفصلاً في مبحث التعريف به.

وقد نوه بذكر هذا الكتاب بعض العلماء المعاصرين فقال بعد أن ذكر براعة الشاطبي –رحمه الله– في النحو: "له فيه شرح على ألفية مالك أربعة مجلدات، دل على مقدرته في علم العربية"[٨٦].

كما مدحه التنبكتي بقوله: "لم يؤلف عليها مثله بحثاً وتحقيقا فيما أعلم"[٨٧].

---

[٨٤] اسمه أبو القاسم بن محمد بن طركاط العكّي هو القاضي الأندلسي الأديب. الزركلي، خير الدين. ٢٠٠٢م. *الأعلام*. ص. ١٨٢

[٨٥] الشاطبي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. *فتاوي الإمام الشاطبي*. تحقيق: د. محمد أبو الأجفان ص. ١٣٨، طبع هذا الكتاب بمطبعة ١٥– نهج لواز – الوردية (١٠٠٩) تونسي الطبعة الأولى سنة (١٤٠٥ هـ/١٩٨٤ م) الطبعة الثانية سنة (١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م) الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م)، الطبعة الرابعة سنة (١٤٢١ هـ/٢٠٠١ هـ) – مكتبة العبيكان – الرياض – العليا – *طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة*، المحقق: د. محمد أبو الأجفان، أستاذ الدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة جامعة أم القري مكة المكرمة.

[٨٦] عبد الله بن الصديق. ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م. *الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين*. الطبعة الثانية. دم: مطبعة العهد الجديد. ج. ١. ص. ١٠٨

[٨٧] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٨

٦) **أصول النحو**: هو كتاب في قواعد اللغة من صرف ونحو، اقتصر فيه مؤلفه على القواعد الأصلية التي لا غني عنها، وقد ذكره المؤلف في شرحه أيضاً على (الخلاصة)، ولكنه كسابقه أتلف في حياة المؤلف[٨٨].

٧) **كتاب المجالس**: هو كتاب شرح فيه الشاطبي –رحمه الله– كتاب البيوع من صحيح البخاري[٨٩]، ويذكر التنبكتي أنه وقف على هذا الكتاب ورأي فيه "من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله"[٩٠] ويعتبر هذا الكتاب في حكم المفقود أيضاً.

٨) **جزء مفرد**: هو كتاب بين فيه الشاطبي –رحمه الله– أن العلماء ورثة الأنبياء مثل مورثهم يدلون على الأحكام بأقوالهم وأفعالهم وإقرارهم، وقد عني في هذا الجزء بالرد على بعض البدع التي انتشرت في عصره بسبب عدم إنكار العلماء لها، أو لعلمهم بها دون مستند أو دليل حتى ذاعت بين العامة على أنها من السنن. وفي ذلك يقول الشاطبي (–رحمه الله–): "وقد قيدنا في ذلك جزءا مفردا، فمن أراد الشفاء في المسألة فعليه به"[٩١].

يتّضح مما سبق التنوع العلمي والمعرفي الحاصل في جهود الإمام الشاطبي الذي ترك خلفه تراثاً علمياً زاخراً بضروب متنوعة؛ لها تأثيراتها في حركة التأليف عند علماء الشريعة والفقه واللغة، وينبع هذا التنوع من الثقافة التي يمتلكها الإمام الشاطبي في كتاباته وأطروحاته، ويقودنا ذلك إلى خصوبة التفكير العلمي والمعرفي في حياة الإمام الشاطبي، ويرجع ذلك إلى تتلمذه على يد الشيوخ وروايته عنهم ونقله لآرائهم وما سمع عنه، بالإضافة إلى قراءاته المتنوعة في مختلف مصادر العلم والمعرفة، علاوةً على عقليته

---

[٨٨] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٨

[٨٩] البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني. ١٩٥١. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي ج. ص. ١٨

[٩٠] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٨

[٩١] الشاطبي.د.ت. *الاعتصام*. ج. ٢. ص. ١٠٢والزركلي، خير الدين. ٢٠٠٢م. *الأعلام*. ج.١ ص. ٧٥

الفذّة التي اجتهد من خلالها في طرح الأصول وتأصيلاتها، وشرح المتون وتسهيلاتها، والتأسيس لمنطلقات معرفية وعلمية مختلفة ومتنوعة في مختلف المضامين التي تتعلق بالمنطق والأصول والبلاغة والشريعة والفقه واللغة، ويشير ذلك إلى عظم ما تركه الإمام الشاطبي في المكتبة العربية والإسلامية من مؤلفات ومصنفات لها تأثيراتها البعيدة والقريبة.

٩) عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق: هو كتاب – كما يدل عنوانه — في علمي الصرف وفقه اللغة، وقد ذكره المؤلف أثناء شرحه لألفية ابن مالك[٩٢]، وتذكر بعض المراجع أن هذا الكتاب ضاع والمؤلف لا يزال على قيد الحياة[٩٣].

٢،١،٥ المطلب الخامس: شعره

فمن شعره لما ابتلى بالبدع:

بليـــت يا قـــوم والبـــلوى منوعـــة # بمـــن أداريه حتى كاد يرديـــني

دفـــع المضـــرة لاجلـــب لمصلحة # فحسبي الله في عقلي وفي ديني[٩٤]

أنشدهما تلميذه الإمام يحي بن عاصم له مشافهة. ومن نظمه في مدح (الشفاء) لما أرسل شيخه الخطيب بن مرزوق للأندلس يطلب من علمائها نظم قصائد تتضمن مدح الشفاء ليجعلها في طالعة شرحه عليه، فقال صاحب الترجمة ما نصه: [٩٥]

---

[٩٢] البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم. *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. ٢. ص. ١٢٧

[٩٣] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٩

[٩٤] البيت البسيط ينسب إلى الشاطبي (الشعر في عز الابتلاء بالبدع). الشاطبي. د.ت. *الاعتصام*. ص. ١٠، عبد الرحمن آدم علي. د.ت. *الامام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها*. الرياض: مكتبة الرشد. ص. ٦٧

[٩٥] البيت البسيط، ينسب إلى الشاطبي (مدح كتاب "الشفا" للقاضي عياض كي يودعها ديباجة شرحه لهذا الكتاب) الشاطبي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. *فتاوى الإمام الشاطبي*. ص. ٥٠

يا مـــن سما لمـــراقي المجـــد مقصده	#	فنـــفسه بنفـــيس العلم قد كلفـت
هذي رياض بـــروق العـلم مخـــبرها	#	هي الشفا لنفوس الخلق لإن دنفت
يجـــني بها زهر التقـــديم أو ثمـــر الت	#	عظيم والفـــوز للأيدي التي اقتطفت
أبدت لنـــا من سناها كل واضـــحة	#	حســـانة دونهـــا الأطمـاع قد وقفت
وشيـــد الـــعقـــد أركـــان مـــؤكـــدة	#	بها على متن أهل الشرع قـــد وقعت
قوت القـــلوب وميـزان العقود متى	#	ادت عن الحجة الكبرى أو انحرفت
يا أهل الفضل حزت الفضل في عرض	#	بها أقـــرت لك الأعـــلام واعـــترفت
وكنـــت بحـــر علـــوم ضل ساحـــله	#	منه استـمدت عيون العلم واغترفت
زارتـــه من جنـــبات القدس ناســـمة	#	فحرّكت منه مدح الفكر حين وفت
حـــتى إذا طُفئـــت أرجاؤه قـــذفت	#	لـــنا بـــدرتها الحســـناء وانصـــرفت
إن العـــنايـــة لا يحـــظى بنـــائـــلـــها	#	حريصها بل على التخصيص قد وقفت

قال الإمام محمد بن العباسي التلمساني: "هذه الأبيات من أحسن ما قيل فيه"[٩٦]؛ أي: من أحسن ما قيل في مدح (الشفاء).

[٩٦] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٥٠

٢،١،٦ المطلب السادس: وفاة الإمام الشّاطبي.

توفي الإمام الشّاطبي –رحمه الله– بغرناطة في يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة تسعين وسبعمائة/ أوت ١٣٨٨م[٩٧] ، وغابتْ شمس هذا الإمام العظيم، ولكن شعاعها لم يزل يُضيء حياض العلم ورياضه لطلاب المعرفة وقاصديها.

رحل هذا العلام في القرن الثامن الهجري وترك خلفه تراثاً علمياً ومعرفياً زاخراً بضروب متنوعة من مصادر العلم والمعرفة، ولم ينقطع أثره فيما تركه، فدارت حول آثاره دراسات كثيرة، وتحسب الباحثة أن هذه الدراسة مشاركة علمية هادفة حول موضوع كتب فيه الإمام الشاطبي، وجادت قريحته به في حقول مسائله المتنوعة من خلال شرحه لألفية ابن مالك الأندلسي التي تطرق من خلالها لمسائل الصرف والنحو، ويبرز ذلك بركة العلم وتحصيله عند الإمام الشاطبي(–رحمه الله–).

لقد زخرت حياة الإمام الشاطبي بالعلم والمعرفة في التحصيل والتلقين والتدريس والتدوين والتأليف والتصنيف في مختلف حقول العلوم الإنسانية خصوصاً الشق الديني واللغوي منها، فتعد مؤلفاته من المصادر المعتبرة في أبوابها، والتي يتعتمد عليها أهل الاختصاص في كل فن أو حقل كتب فيه، وترى الباحثة أن الإمام الشاطبي امتلك الحس العلمي المنطقي في معالجته لمجمل القضايا المعرفية التي يتطرق إليها في مؤلفاته؛ ويُلمس ذلك من خلال حديثه عن المقاصد وأصولها في الشرع واللغة، ويفتح هذا الباب مجالاً فسيحاً حول استدلالات الإمام الشاطبي في أفكاره وأطروحاته الدينية واللغوية.

---

[٩٧] التنبكتي، أحمد بابا. د.ت. *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ص. ٤٩

٢,٢ المبحث الثاني: التعريف بكتابه المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية.

٢،٢،١ المطلب الأول: موضوعه وسبب تأليفه.

وهذا الكتاب (المقاصد الشافيّة) شرح من الخلاصة الألفية لابن مالك. شرح فيه النظم في علم العربية نحواً وصرفاً[٩٨]، وقد عرض الإمام الشاطبي –رحمه الله– في (المقاصد الشافيّة) لكثير من مسائل الخلاف، وهو يقف من هذا الخلاف موقف الناقد البصير الذي يختار، ويستدرك أو يعترض، ويعلل، ويناقش، فحين يعرض لمسألة ما تجده يرجح مذهبا بالدليل والبرهان، ثم ينبري لبيان أوجه الضعف في غيره من مذاهب وأقوال. وحين يرفض فكرا أو رأيا من آراء المذهبين لم يرفض اعتباطاً أو تقليداً، وإنما يعلل ويحتج ويستند إلى كلام العرب، ونراه يتجه نحو المذهب البصري، حين يرى القوة والحق في جانبهم، وقد يتجه نحو المذهب الكوفي في حين يرى القوة في ذلك، وأحياناً كان ينأى عن المذهبين ليأخذ بآراء كبار النحاة الذين كانت لهم في النحو وقفات وتوجيهات، كالخليل بن أحمد، وسيبويه، والأخفش، وأبي علي الفارسي، والشلوبين، وابن الضائع.[٩٩]

يرى الإمام الشاطبي –رحمه الله– أنّ سبب التأليف يرجع فيما يبدو إلى أربعة أمور:

"**أحدها:** أنّ واضعه لم يَضعه للصائم عن هذا العلم جملةً، ولو قصد ذلك لم يضعه هذا الوضع، إذ كثير منه مبنيٌ على أخذ الفوائد والقواعد والشروط من التمثيلات والمفهوم والإشارات الغامضة. والمبتدئ لا يليق به هذا التعليم، ولا يسهل عليه قصد الإفادة، وإنّما يليق بالمتعلم جُمَلَ الزّجاجيّ وما أشبهه مما يسهل تَصَوُّرُه، ويقرب متناوله، أمّا إذا كان الطالب قد شدا في النحو بحَتْم كتاب يَنْفتِح له به

---

[٩٨] الشّاطبي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧. *المقاصد الشافية*. ج.١ ص. ٥

[٩٩] زين العابدين حاجب. ٢٠٠٦. *اختيارات الشاطبي النحوية واستدراكاته من خلال (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية) جمعا ودراسة*. ص. ٢–٣

اصطلاح العلم، وزاول أبوابه، وتَنَبَّه لجملةٍ من مقاصده ومسائله فهو المستفيد بنظم ابن مالك؛ لأنه يَضُمُّ له ما انتشر، ويجمع له ما تشتَّت عليه، ويصير له في النحو قوانينُ يعتمد عليها، ولا يُخافُ انطماسُ فَهْمه عليه. وإذا كان كذلك لم يكن لائقاً بشرحه الاختصارُ المِحْضُ، والاقتصار على مُجرَّد التمثيل وما يليه.

والثاني: أنّ الناظم لم يقتصر في كثير من هذا الكتاب على مجرّد النقل الذي لا يشُوبه تعليل، لا أضْرَبَ عن ذِكْر الخلاف والإشارة إلى الترجيح، بل نبّه على التعليل، ورمز إلى الأخذ بالدليل، وأرشد إلى أنّ لِبَسْطِ العلل فيه موضعا، وللإدلاء بالحجج وفصل القضايا بين المختلفين فيه مجالا متّسعا. فلذلك بسط المؤلف فيه من المآخذ الحكمية العربية ما يسوغ أن يقع تعليلا لمسائله، وأراد المؤلف فيه من التنبيه على الخلاف في المسائل المورَدَةِ فيه ما وَسِعه إيرادُهُ، ومال المؤلف إلى الانتصار للناظم فيما رآه، والاعتذار عنه ما وجدتُ إلى ذلك طريقاً، حتى إذا لم أَجِد لما ارتكبه مساغاً في المنقول ولا في المعقول، بَيَّنْتُ الحقَّ في المسألة وردّ المؤلف عليه غير مُزْدَرٍ به ولا مُنْتقِصٍ له، علماً بأنّ من كلام الناس المأخوذَ والمتروك، إلاّ ما كان من كلام النبوّة.

والثالث: أنّ فيه من القواعد الكلّية، والقوانين العاقدة، ما ينبغي بسطُه، ولا يَسَعُ اختصارُه. فلو قصد قاصدٌ اختصار الكلام عليها، أو اكتفى بالنظر الأول فيها، كان إخلالا بقصد الشرح، وإغفالا لما تأكّد طلبُه وبَسْطُه منه.

والرابع: إنّ تعويله على الإشارة بالتمثيل، وعقد الضوابط بها، والاتّكال على المفهوم، والإتيان بالعبارات الغامضة المعاني، ما يدلّ على أنّ صاحبه قصد أن يشترك في النظر فيه الشادي والمنتهى، فلذلك حمّل المؤلّف العبارةَ ما تحمله في باب المفهوم والمنطوق، وخدمها بالاعتراضات والأجوبة فيما

أمكن، وتتّبع المؤلّف قواعده الكلّية، وعرضها على أصول العلم، فما وجد منها صحيحا أثبت وجه صحّته، وما كان فيه خللٌ بيّنه المؤلّف بقدر الإمكان"[١٠٠].

تنوعتْ المغازي والأهداف التي انطلق منها الإمام الشاطبي، ويدلل ذلك على سعة علمه ووفرة اطّلاعه على جهود العلماء السابقين له، هذا علاوةً على قوة اجتهاداته في علم الأصول؛ مما انعكس على دواعي تأليف كتابه، ويجسد ذلك الإمكانيات الموسوعية التي يمتكلها الإمام الشاطبي في استعراضه لمضمون ألفية ابن مالك، وأسلوبه المنهجي في الشرح والتوضيح والتفسير وما يتعلق بذلك من اجتهادات لها الأثر العظيم في بروز شخصية الناظم وهو ابن مالك، والشارح وهو الإمام الشاطبي، ويدلل ذلك على القدم الرّاسخة في فن الصرف والنحو، وما يرتبط بذلك من توزيعات وتقسيمات منهجية لها حضورها اللافت في شرحه على الألفية، كل ذلك يتمثل في أسباب التألف التي طرحها الشاطبي وتحدث عنها في مقدمة كتابه.

ويمثل هذا الكتاب قمة العطاء عن الإمام الشاطبي في حقلي الصرف والنحو؛ لأنه يتعلق بشرح متن الألفية التي ألّفها ابن مالك، فهي تعد متناً لغوياً فريداً، وزادها فرادةً واستجلى مكنوناتها الإمام الشاطبي في بيانه لمقاصد الوضع التي تمثل أساس المنطق في الكتابة العلمية بحقلي الصرف والنحو، والحديث عن مقاصد ابن مالك في نظم ألفيته في الصرف والنحو.

---

[١٠٠] الشّاطبي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧. *المقاصد الشافية*. ج.١ ص. ١٧-١٨

٢،٢،٢ المطلب الثاني: سبب تسمية هذا الكتاب.

إن تسمية الكتاب بالمقاصد الشافية ترجع إلى أمرين:

أولهما: حديثه المستفيض عن المقاصد في كتابه الموافقات، وهو يمثل القسم الثالث من هذا الكتاب، **وثانيهما**: مقالة ابن مالك في صدر ألفيته:

مقاصد النحو بها مَحْرِيَّةْ # وأستعين الله في ألفية[١٠١]

فجاء هذا العنوان "**المقاصد**" متفقاً مع اتجاه صاحبه، وإذا كان الإمام الشاطبي –رحمه الله– قد قسّم المقاصد في كتاب الموافقات إلى قسمين أساسيين، أولهما قصد الشارع، والآخر قصد المكلَّف، فسوف نراه في شرحه للألفية مَعْنِيّاً بمقابلة هذين الأمرين الأساسيين كذلك في هذا الكتاب، وهما قصد الواضع فيما وضع، ثم مقصد ابن مالك من عباراته، وهو حديث نراه يتردد كثيراً في هذا الشرح[١٠٢]، ويتّضح مما سبق أن الإمام الشاطبي كان هادفاً في تأليفه لكتابه المقاصد الشافية متن ألفية ابن مالك؛ بالإضافة إلى بيان أساس الوضع ومقصده، فاجتمع أكثر من مقصد في متن هذا الكتاب الذي يعتبر من الشروحات المهمة التي اشتملت على أصول فن الصرف والنحو وما يتعلق بها من آراء وأطروحات ذكرها الإمام الشاطبي في تحليلاته، لقد نزع الإمام الشاطبي في تسميته لهذا الكتاب منحى علمي خالص؛ يتّسم بعمق الطرح الذي يدور حوله الكتاب، ويسعى إلى تحقيقه، والمتمثل في توظيف أساس الفهم العلمي وهو الوضع وآلياته، وكذلك الشرح في توضيح ما يرمي إليه ابن مالك في ألفيته بالصرف والنحو.

---

[١٠١] ابن مالك، محمد بن عبد الله. د.ت. *متن ألفية ابن مالك*. بيروت: المكتبة الشعبية. ص. ٢

[١٠٢] نفس المرجع ج.١. ص. ١٢